



المعارضة المتكلمة وصدق المبعضين

سامح مصطفى

الموعود فور الإعلان الصريح من حضرته أنه هو المسيح الموعود بمجيئه بحسب نبوءات القرآن المجيد وحضرة خاتم النبيين ﷺ، وكان هذا بدءاً من جهر حضرته بإعلانه في كتابه «فتح الإسلام» أواخر عام ١٨٩٠م، فقال حضرته معلناً: «فالمسيح الذي كان مقدراً مجيئه هو أنا، فاقبلوا إن شئتم»^(١)، كما بيّن حضرته أنه مصداق جميع النبوءات المتعلقة بآخر الزمان لدى أتباع كل الديانات. ومنذ اندلاع المعارضة أول مرة، وهؤلاء المناوؤون للمسيح الموعود وجماعته يتساقطون معارضاً إثر معارض، تارة بالطاعون، وأخرى بالخزي والمذلة والهوان، ويبقى المسيح الموعود يجني أطراف خالقه هو وجماعته الناشئة، بل وحتى أولئك الذين وقفوا موقف الحياد دون أن يَقِفُوا ما ليس لهم به علم، نالوا شيئاً من الإكرام الدنيوي الملحوظ.

الحين ثارت ضده التلويح نائرة لم تهدأ إلى وقتنا هذا، وإن كان حضرته ﷺ قد ذكر في كتاباته المبكرة أنه المسيح الموعود بظهوره ضمن سياق متصل من الإلهامات الإلهية، ومن جملتها: «يجي الدين ويقيم الشريعة. يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة. يا مريم، اسكن أنت وزوجك الجنة. يا أحمد اسكن أنت وزوجك الجنة»^(٢) «يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطْ إِلَيَّ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣) لقد كان وقع تلك الإلهامات على آذان المشايخ وقتذاك وقعا لطيفاً، إن لم نقل محبباً، يعيد إلى القلوب القاصية، ومن ثم القاسية، الأمل في الوصال بالله تعالى وتلقي الوحي منه ﷺ. لقد تفجر بركان المعارضة للمسيح

سنة ثابتة

غني عن البيان أن معارضة المصلحين عموماً، والمبعضين منهم خصوصاً، هي ظاهرة معروفة في شتى المجتمعات الإنسانية، فما من مبعوث سماوي إلا أوذى فور الجهر بدعواه، حتى بات الأمر كسنة ثابتة، فكلما استفحل المرض بات قبول الجسد المريض للدواء متعذراً، بل يبدو وكأنه مستحيل ولا جدوى منه.

حضرة مرزا غلام أحمد القادياني ﷺ ليس استثناءً من سنة من خلوا من قبله من النبيين، فقبل الجهر بدعواه شهد له القاصي والداني بأنه البطل الوحيد المدافع عن الإسلام، ثم لم يلبث أن تفجرت ضده المعارضة الشرسة فور إعلانه عن كونه المسيح الموعود والإمام المهدي الذي تنتظره الأمة، وأن الله تعالى هو من أخبره بهذه الحقيقة، ومنذ ذلك

المعارضة تتلون

ومما تجدر ملاحظته على مدى قرن وربع هو عمر الجماعة الإسلامية الأحمدية إلى الآن، أنه منذ ابتداء المعارضة للمسيح الموعود وجماعته وحتى اللحظة، فإن تلك المعارضة لم تتخذ شكلا ولا مظهرا واحدا، وإنما هي في تلوّن حربيّ مستمر تبعا للظروف السائدة، فخلال فترة الاستعمار البريطاني لشبه القارة الهندية لم نكن نسمع أيا من هؤلاء الملات والمشايخ يطلع علينا بالتهمة المتداولة والقائلة بعمالة حضرته (وحاشاه) للإنكليز. إن هذه التهمة والفرية البغيضة في حد ذاتها دليل نفاق المشايخ الذين كانوا دائمي الوشاية بحضرته عليه السلام لدى الحكام الإنكليز في الهند، وقد اتهم حضرته غير مرة بمناهضة حكم التاج البريطاني، والسعي لإثارة القلاقل، أما وقد تغير الحال، وخرج الإنكليز من الهند، آن لوقاحة المشايخ أن تغير جلدها كالتعبان النامي، إن حضرته عليه السلام وهو المتهم بالأمس بإثارة القلاقل ضد الحكومة الإنكليزية أصبح بين عشية وضحاها متهما كذلك، ولكن بتهمة مختلفة، وهي العمالة للاستعمار وموالات الإنكليز. حقا، إن التعصب أعمى، وغبي أيضا!

بقاء ذكر المسيح الموعود مقابل انقطاع ذكر معارضيه

كان هذا فيما يتعلق بالمعارضة، أما

إن حضرته عليه السلام وهو المتهم بالأمس بإثارة القلاقل ضد الحكومة الإنكليزية أصبح بين عشية وضحاها متهما كذلك، ولكن بتهمة مختلفة، وهي العمالة للاستعمار وموالات الإنكليز. حقا، إن التعصب أعمى، وغبي أيضا!

إذا تناولنا الموضوع من جهة المعارضين أنفسهم لاحظنا شيئا أعجب. إن المعارضة المستميتة لحضرة المسيح الموعود عليه السلام وجماعته على ضراوتها لم تترك على مدى الـ ١٢٨ عاما الماضية تراثا موثقا يعتد به، اللهم إلا على سبيل النادرة، ولإيضاح هذه المسألة نعود إلى التركيز على فرية العمالة للاستعمار، تلك الفرية الحديثة نسبيًا. إن أول ما يتبادر إلى الأذهان هو ذلك الغباء البادي في نقض تلك المشايخ غزلها أنكاثًا. إن هذه الظاهرة لا تحدث إلا إذا بدأت المعارضة كل مرة من جديد دون الالتفات إلى تراث المعارضة الحالي، الأمر أشبه بموظف مسؤول على رأس مؤسسة ينقض كل ما بدأه سلفه، ثم ينقض عمل هذا الموظف خلفه بدوره، ومن ثم لا يكتب لتلك المؤسسة النجاح مطلقًا.

لا أحد ممن عارضوا المسيح الموعود وعوده كتب لذكره البقاء، اللهم إلا من كتابات المسيح الموعود نفسه، عدا هذا،

لا يكاد المؤرخ أو موثق الأحداث التاريخية يعثر للبطلوي مثلا على موضع بيت أو قبر، أفلا يلفت هذا الأمر أنظارنا إلى السنة الإلهية المثبتة في الآية المباركة:

﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾^(٤)

بلى، إن معارضة الصالحين والمبعوثين لا تلبث أن تتهاوى وتمحى أمام ثبات وصمود دعوة الحق من الله تعالى، متمثلة في آيات صدق المبعوث السماوي، ومن جملة تلك الآيات دوام ذكره الطاهر.

١. الخزانة الروحانية، المجلد ١، البراهين الأحمدية، الترجمة العربية، ص ٥٧٢
٢. الخزانة الروحانية، المجلد ١، البراهين الأحمدية، الترجمة العربية، ص ٦٠٨
٣. الخزانة الروحانية، المجلد ٣، كتاب فتح الإسلام، الترجمة العربية، ص ١٣، حاشية رقم ٣
٤. الرعد: ١٨